القيم الأخلاقية في جمهرة الأمثال للعسكري من منظور علم اللغة الاجتماعي

د/ عبد الحليم صابر عبد الجيد عمر
لدرجة الدكتوراه – كلية الآداب – جامعة المنصورة
ورئيس قسم اللغة العربية بمدارس بيت الإبداع الخاصة

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث إلى دراسة الأمثال العربية كما وردت في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري من منظور لغوي اجتماعي وأخلاقي، بوصفها نصوصًا ثقافية تحمل تصورات المجتمع العربي عن القيم الكبرى، وتؤدي وظائف تداولية متعددة تتجاوز حدود البلاغة إلى بناء الوعي وتوجيه السلوك.

وقد ركز البحث على تحليل أربع قيم محورية في الثقافة العربية هي: الكرم، الحِلم، القناعة، الوفاء، بوصفها ملامح أخلاقية بارزة شكّلت ضمير المجتمع، وظهرت جليًّا في الأمثال المتداولة بين الناس.

اعتمد البحث منهجًا تحليليًّا استقرائيًّا، يقوم على تتبع الأمثال المتعلقة بهذه القيم، وتحليل بنيتها اللغوية والبلاغية، وتفسيرها في ضوء السياق الاجتماعي والثقافي، مع بيان دورها في تكوين النموذج الأخلاقي العربي.

وقد خلص البحث إلى أن الأمثال تمثل نظامًا رمزيًّا مكثفًا لنقل القيم وتثبيتها، وأنها ما تزال حاضرة في الوجدان الجمعي ومؤثرة في تشكيل المواقف والسلوك، مما يمنحها أهمية خاصة في دراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الأمثال العربية، الكرم، الحِلم، القناعة، علم اللغة الاجتماعي.

Research Abstract:

This study examines Arabic proverbs as compiled in Jumhūrat al-Amthāl by Abū Hilāl al-ʿAskarī, through a sociolinguistic and ethical lens. Proverbs are approached as cultural texts that reflect Arab society's perceptions of fundamental values and serve pragmatic functions that extend beyond rhetorical elegance to shaping awareness and guiding behavior. The research focuses on four core values in Arab culture: generosity, forbearance, contentment, and loyalty, which constitute moral hallmarks deeply rooted in collective consciousness and widely represented in traditional proverbs.

The study employs an analytical, inductive method that traces proverbs related to these values, analyzing their linguistic and rhetorical structures, and interpreting them within their social and cultural context. It highlights the role of proverbs in constructing the Arab moral model. The research concludes that proverbs constitute a symbolic and condensed system for transmitting values, and remain influential in shaping collective memory and behavior, underscoring their significance in exploring the language-society nexus.

Keywords :Arabic proverbs, generosity, forbearance, contentment, sociolinguistics..

مقدمة البحث:

مثلت الأمثال العربية عبر العصور وعاءً ثقافيًا ذا طبيعة مزدوجة: لغوية واجتماعية؛ فهي ليست مجرد أقوال سائرة تتناقلها الألسن في المجالس، أو تُستعاد في المواقف فحسب، بل هي تمثيلات اختزالية لحكمة التجربة الإنسانية، وتجليات حية للوعي الجمعي الذي تشكّل في بيئة بدوية وقَبَلية، تغلب عليها الحاجة إلى التنظيم القيمي والتوجيه السلوكي. لقد عبّرت الأمثال عن روح المجتمع العربي القديم، بأعرافه ومروءته وشمائله، وكرّست في الذاكرة الجمعية مفاهيم كالنجدة، والكرم، والحِلم، والقناعة، والوفاء، بوصفها قيماً ضابطة لتماسك الجماعة وهويتها.

ويُعدّ كتاب "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري (ت: بعد ٣٩٥هـ) من أبرز المؤلفات التي حفظت هذا الإرث الأخلاقي واللغوي؛ إذ لم يكتف مؤلفه بجمع الأمثال وتصنيفها، بل قرنها ببيان مواردها ومضاربها، وشفعها بشروح موجزة تربط القول بسياقه، والفكرة بجذرها الثقافي. وقد تميزت "الجمهرة" بأنها وثيقة حية لروح المجتمع العربي، ولغته، ومفاهيمه الأخلاقية. ويُظهر تصنيف الأمثال في هذا الكتاب حضورًا واضحًا لقيم بعينها، تُعدُّ من ركائز الضمير الجمعي العربي، ومن أبرزها: الجود، الحِلْم، القناعة، الوفاء.

وتتجلى أهمية هذا البحث في أنه يوظف أدوات علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics) لتحليل الأمثال بوصفها وحدات لغوية ذات وظيفة اجتماعية، لا تنفصل عن البيئة الثقافية التي أنتجتها، بل تتفاعل معها بوصفها وسيلة لنقل القيم وتشكيل السلوك، وحفظ النظام الرمزي للجماعة. فالمثل يُقال في موقف، ويؤدي وظيفة تقويمية أو إرشادية، ويتضمن حمولات أخلاقية تنبع من العرف والتجربة، وتُستعاد في مواقف مشابهة، مما يجعله عنصرًا حيويًا في فهم العلاقة بين اللغة والسلوك، والنص والسياق، والدلالة والثقافة.

اعتمد البحث على **المنهج الوصفي التحليلي**، من خلال تحليل بنية الأمثال لغويًا، وتتبع حمولاتها الدلالية والأخلاقية، وربطها بسياقاتها الاجتماعية ضمن رؤية لسانية

اجتماعية. وقد تم توظيف أدوات التحليل السوسيو–لغوي لرصد طبيعة القيم المتضمنة في الأمثال، واستكشاف تمثّلاتها في الخطاب الثقافي العربي، عبر قراءة تداولية تفسّر المثل من حيث وظيفته التوجيهية، وتؤوّله داخل بنيته السياقية.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وملحق، وثبت للمراجع، على النحو الآتي:

التمهيد: يتضمن تعريفًا بالأمثال، وترجمة موجزة لأبي هلال العسكري، مع عرض لمنهجه في جمع الأمثال، وتقديم تأطير نظري لعلم اللغة الاجتماعي.

المبحث الأول: قيمة الجود والكرم في الأمثال العربية.

المبحث الثاني: قيمة الحِلْم ومظاهرها اللغوية والاجتماعية.

المبحث الثالث: قيمة القَنَاعَة في ضوء التعبيرات المَثلية.

المبحث الرابع: قيمة الوفاء وتجلياتها في الخطاب المثلي.

الخاتمة: تُبرز أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

الملحق: جدول إحصائي يتضمن رصدًا للأمثال المدروسة وتحليلًا كمّيًا ونوعيًا لمضامينها.

تمهيد البحث:

تمثل الأمثال العربية مرآةً صافية لروح الأمة ولسانها، وهي من أبرز ما حفظته الذاكرة الجماعية من الحكم والتجارب بلغة موجزةٍ مكثفةٍ تعبّر عن مواقف متكررة، وتصورات ذهنية، ونسق قيمي يعكس ثقافة المجتمع.

وتعدُّ الأمثال العربية، كما وردت في "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري، وثيقة لغوية – اجتماعية تحمل ملامح العصر وطرائق تفكير أهله، بل إنها تُسهم إسهامًا حقيقيًا في تشكيل الوعي الجمعي، وصياغة القيم، وتوجيه السلوك.

إن هذا البحث يسعى إلى دراسة الأمثال العربية من خلال جمهرة الأمثال في ضوء علم اللغة الاجتماعي والأخلاق باعتبارها وحدة لغوية – ثقافية لها امتداداتها في بنية اللغة، وبنيان المجتمع.

أولًا: مفهوم المثل:

في اللغة: كلمة "مَثَل" تدور في فلك المشابهة والمماثلة، وقد ذكر الفيروزآبادي أن "المثل" يعني: الشبه، والمثال، والعبرة، والحُجة، والحديث[1]. وفي لسان العرب، ميّز ابن بري بين "المماثلة" التي تكون بين متماثلين، و"المساواة" التي قد تكون بين مختلفين[2]. فالمثل في الأصل هو نظير الشيء، وشبيهه الذي يُحتذى به.

في الاصطلاح: المثل هو قولٌ موجزٌ بليغ، يجري على ألسنة الناس، يُطلق على حالة مخصوصة، ثم يُستشهد به في حالات مشابهة لما فيه من حكمة وتجربة متراكمة[3]. وقد عرّفه الدكتور إميل بديع يعقوب بأنه: "عبارة موجزة بليغة متوارثة، تمتاز بالإيجاز

---

(1) ينظر: القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (م ث ل) ص١٠٥٦، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف/ محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٨ سنة ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥م.

(2) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ) (م ث ل) ٦١٠/١١، دار صادر – بيروت، ط٣ سنة ١٤١٤ هـ.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان الداودي ص٧٥٩، دار القلم- الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط١ سنة ١٤١٢هـ، مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ) ١/١، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، (د. ط. ت).

وسهولة اللغة وجمال الجرس"[٤]. أما الدكتور عبد المجيد قطامش فعدّه: "قولًا سائرًا موجزًا يُشبّه به حادثةٌ بحالةٍ سابقة"[٥].

ويتميّز المثل عن سائر الأشكال التعبيرية بقدرته على اختزال الموقف في عبارة قصيرة، محكمة الصوغ، قابلة للتكرار والاستدعاء في مواقف مختلفة. أما "مورد المثل" فهو الحادثة الأصلية التي قيل فيها، و"المضرب" هو الحالة المشابهة التي يُستشهد فيها لاحقًا، كما درجت عليه كتب الأدب والأمثال[٦].

من جهة النسبة والهوية: فالأمثال ليست ملكًا لفرد، بل هي نتاج التجربة الجماعية، تنشأ في البيئة الشعبية وتعبّر عن وجدان الناس، ولذلك نجد كثيرًا من الأمثال تتشابه بين الشعوب، مع اختلاف الصياغة، لتقارب الظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية[٧].

ثانيًا: دلالة الأمثال في ضوء علم اللغة الاجتماعي:

علم اللغة الاجتماعي(Sociolinguistics) :

هو فرع من فروع اللسانيات التطبيقية، يهتم بدراسة اللغة بوصفها أداة تواصل في بيئة اجتماعية، ويبحث في العلاقة المتبادلة بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية، ويحلل كيف تؤثر العوامل الاجتماعية (كالعمر، والنوع، والمكانة الاجتماعية، والانتماء الديني) على أنماط اللغة[٨].

---

(٤) الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلة د. محمد توفيق أبو علي ص٤١، دار النفائس، ط١ سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م. نقلًا عن الأمثال الشعبية اللبنانية د. إميل بديع يعقوب.

(٥) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية عبد المجيد قطامش ص١١، دار الفكر، دمشق، ط١ سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

(٦) السابق ص١٥.

(٧) ينظر: رسالة ماجستير بعنوان: صورة العصر في الأمثال الجاهلية لفهد ناصر محمد السبيعي ص٤٠، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب سنة ٢٠١٢م. وينظر رسالة ماجستير بعنوان: الأمثال الأخلاقية في العصر الجاهلي دراسة أسلوبية للباحثة أمال وناس ص٩، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، بالجزائر، كلية الآداب واللغات سنة ٢٠١٥م.

(٨) بحث بعنوان: الإعلان التجاري وأسماء المحال التجارية في الأردن في ضوء علم اللغة الاجتماعي د. خلود إبراهيم العموش ص٢، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الثالث والثلاثين، سنة ٢٠١٥م، بحث آخر بعنوان: لغة القيم الأخلاقية في سورة النور دراسة

يعد هذا العلم مجالًا خصبًا لتحليل الأمثال، لأنها تُقال في سياقات اجتماعية، وتُستخدم في تفاعلات لغوية تحمل أغراضًا متنوعة كالنصح، والتوبيخ، والحث، والتقريع، والمواساة ... إلخ. فالمثل خطاب اجتماعي بامتياز، ويدل على المواقف الاجتماعية، ويترجم البنية القيمية والثقافية للمجتمع(٩).

أهمية الأمثال في ضوء هذا العلم:

١- تُجسّد أنماطًا من التفكير الجمعي(١٠).

٢- تكشف عن التحيزات الثقافية واللغوية(١١).

٣- تبرز التفاوت الاجتماعي من خلال اختلاف الاستخدام بين الطبقات أو الجنسين.

٤- تعكس الصراع القيمي بين المحافظة والتجديد(١٢).

ثالثًا: الأخلاق والمثل:

علم الأخلاق (Ethics) يهتم بدراسة الخير والشر، والصواب والخطأ، وهو علم معياري يحاول تقويم الأفعال البشرية، وعند الربط بينه وبين الأمثال، نجد أن الأمثال تُؤدي دورًا مهمًا في تشكيل الضمير الجمعي، لأنها تحتوي في الغالب على حكم قيمة

تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي د.اعتماد عبد الصادق عفيفي ص٤٦٩، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة، المجلد الخامس والثلاثون، العدد الثاني، سنة ٢٠١٨م.

(٩) ينظر: علم اللغة الاجتماعي د. هدسون ص١٢، ترجمة: د. محمد عياد، مراجعة: د. نصر حامد أبو زيد، د. محمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، ط٢ سنة ١٩٩٠م، مدخل إلى علم اللغة د. محمد حسن عبد العزيز ص٩١، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة (د.ط.ت).

(١٠) ينظر: الأمثال العربية القديمة، لعفيف عبد الرحمن ص٣٠، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، الكويت، المجلد الثالث، العدد العاشر، سنة ١٩٨٣م.

(١١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ٣٧٤/١، تح/ فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨م.

(١٢) رسالة ماجستير بعنوان: مجمع الأمثال للميداني دراسة لغوية دلالية ص٤١، للباحث/ أحمد جاسر عبد الله العبد الله، كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط، سنة ٢٠١١م.

تحض على الصدق والكرم والتواضع، وتحذر من الكذب والبخل والغـرور ... فالمثـل ينطوي غالبًا على معيار أخلاقي[١٣].

وهنا يتقاطع المثل مع الأخلاق في كونه وسيلةً لنقل القيم وتكريسها، وقد يُلاحظ أن بعض الأمثال تُكرّس قيمًا سلبية أحيانًا (مثل التواكل أو النظرة الدونية للمرأة)، مما يـدعو إلى القراءة النقدية للأمثال من منظور أخلاقي[١٤].

رابعًا: مؤلف الكتاب ومنهجه:

أبو هلال العسكري (ت. بعد ٤٠٦هـ) من أئمة القرن الرابع الهجري، عُرف بلقب "شيخ البلغاء"، وامتاز بأسلوب علمي رصين[١٥]. اسمه "الحسن بن عبد الله بن سـهل بـن سعيد"[١٦]، ولم تُحدد وفاته بدقة[١٧]. ألّف كتبًا عديدة، منهـا: الفـروق اللغويـة، ديـوان المعاني، الصناعتين (الكتابة والشعر)، وجمهرة الأمثال[١٨].

أما كتاب **جمهرة الأمثال**، فهو من أبرز ما أُلِّف في بابه، جمع فيه الأمثال، ورتبها على حروف المعجم، واستشهد لها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السـلف، والشعر العربي[١٩]. وقد راعى التوثيق، وذكر الموارد والمضارب، ووضع بابًـا خاصًّـا للأمثال التي تبدأ بـ"لا"، وأمثالًا على صيغة "أفعل من"[٢٠]. نُشر لأول مرة فـي بـومبي

---

(١٣) المضامين التربوية للأمثال السائدة في البيئة الدمشقية (دراسة وصفية تحليلية) د. منى كشيك ص٢٠٥، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، المجلد (٣٠)، العدد (٢)، سنة ٢٠١٤م.

(١٤) اللغة وعلوم المجتمع د. عبده الراجحي ص١٠، دار الصحابة للتراث، ط١ سنة ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.

(١٥) معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ١٢٤/٤، دار صادر، بيروت، ط.٢ سنة ١٩٩٥م.

(١٦) دمية القصر وعصرة أهل العصر لعلي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب البَاخَرْزِي، أبو الحسن (ت ٤٦٧هـ) ١٦٥٠/٣، دار الجيل، بيروت، ط.١ سنة ١٤١٤هـ.

(١٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت١٦٧هـ) ٢٣٣/١، مكتبة المثنى بغداد، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٤١م، (د. ط.

(١٨) معجم الأدباء ٩٢٠/٢.

(١٩) جمهرة الأمثال ٣٦/٢.

(٢٠) جمهرة الأمثال ٦/١.

(١٣٠٧هـ)، ثم في القاهرة (١٣١٠هـ)، وحقق لاحقًا على يد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش.

خامسًا: العلاقة بين الأمثال والمجتمع:

إن الأمثال ليست مجرد نصوص لغوية، بل هي نصوص تُنتَج وتُتداول في سياق اجتماعي – ثقافي، وهي خاضعة للزمان والمكان والبيئة التي نشأت فيها. ولهذا فإن دراسة الأمثال من خلال علم اللغة الاجتماعي تساعدنا على:

١- فهم طبيعة المجتمع الذي أفرزها[٢١].

٢- تحليل العلاقات بين اللغة والسلوك.

٣- تتبع التحولات القيمية داخل المجتمع[٢٢].

٤- الكشف عن ملامح الهوية الثقافية واللسانية[٢٣].

خاتمة التمهيد:

من هنا تتضح أهمية الأمثال العربية في "جمهرة الأمثال" لا بوصفها نصوصًا تراثية جافة، بل بوصفها تعبيرًا حيًّا عن فكر الأمة وقيمها، وهي بذلك مادة خصبة لدراسة لغة المجتمع، وتفاعل اللغة مع الأخلاق، وفق رؤية علم اللغة الاجتماعي.

وسوف يسعى هذا البحث إلى دراسة هذه الأمثال من الزاويتين: الاجتماعية والأخلاقية، محلّلاً بنيتها اللغوية، ومستويات تداولها، ومحمولها القيمي، وأثرها في تشكيل الوعي الجمعي، وتأثيرها في السلوك اللغوي والاجتماعي.

---

(٢١) ينظر: بحث بعنوان/ علاقة اللغة بالمجتمع ـ واشكالية التواصل اللغوي في المجتمع لصبرينة مزياني ص١٠، المركز الديمقراطي العربي سنة ٢٠١٧م.

(٢٢) ينظر: بحث بعنوان (اللغة في المجتمع) لكمان توماس ص١١، ترجمة/ أمين محمود، المجلد الخامس عشر، العدد الثامن والخمسون، الناشر: المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية (منظمة اليونسكو، دار المنظومة سنة ٢٠١٨م.

(٢٣) ينظر: علم اللغة الاجتماعي وتطبيقاته في تعليم العربية د. محمود جلال الدين سليمان ص٣٨، عالم الكتب ط.١ سنة ٢٠١٥م.

المبحث الأول

قيمة الجود والكرم في الأمثال العربية

يُعد الكرم من أبرز القيم التي شكّلت مكونًا أصيلًا في البنيـــة الأخلاقيـــة للمجتمـــع العربي قبل الإسلام، وتجاوز معناه حدود العطاء المادي ليصبح معيارًا للمروءة والنجـــدة والزعامة. وقد انعكست هذه القيمة في الأمثال العربية التي وثّقت مظاهر الجود وصوّرت الكرماء بوصفهم رموزًا يُحتذى بها. ومع بزوغ الإسلام، أعاد بناء هذه القيمة على أســـس إيمانية، فحوّل الكرم من سلوك اجتماعي إلى عبادة. ويتناول هذا المبحث تمظهرات الكرم في الأمثال من حيث التصور الثقافي، والصيغ اللغوية والبلاغية، وســـياقه الاجتمـــاعي، وتحولاته الدلالية في ضوء القيم الإسلامية.

أولًا: الكرم في التصور العربي قبل الإسلام:

شكّل الكرم أحد أبرز القيم الأخلاقية التي رسختها البيئة العربية في مرحلة ما قبـــل الإسلام، حتى غدا سمة من سمات النُّبل والمروءة، ومقياسًا رئيسًـــا يُبنـــى عليـــه تقـــويم الرجال، ويُوزَن بهُ الفضل، وتُمنح به السيادة[٢٤].

ويظهر ذلك جليًّا في كثرة ما وُضع من أمثالٍ تضرب بمن عُرفوا بالجود والسخاء، فجعلتهم العرب نماذج رمزية يُقاس بها غيرهم، وصيّرت أسماءهم أيقوناتٍ للكرم، ترددها الألسنة، وتتناقلها الأجيال، دالةً على أن الكرم في تلك الثقافة لم يكن مجرد سلوك طارئ، بل جزءًا بنيويًّا من البناء القيمي للإنسان العربي.

ولأن بيئة الصحراء تقتضي التكاتف والبذل، فقد غدت **المروءة** في التصور العربي تقوم **على إغاثة الملهوف، وإكرام الضيف، وبذل الزاد، والعطـــاء دون مـــنٍّ أو تبـــاطؤ**. وانعكس هذا بوضوح في الأمثال التي ضربت بالمشاهير من الكرماء، مثل:

"**أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ**"[٢٥]: وهو أشهر أمثال الجود عند العرب، يشير إلى حاتم الطـــائي، الذي غدا اسمه مرادفًا للسخاء المطلق، إذ "لا يُعرف بين العرب من نال شهرة في الجـــود

([٢٤]) ملامح النظرية الاجتماعية في التراث العربي الجاحظ أنموذجًا د. موح عرّاك عليوي الزغيبي ص١٢٧، دار ومكتبة البصائر بيروت لبنان، ط.١ سنة ٢٠١٣م.

([٢٥]) جمهرة الأمثال ٣٣٦/١.

كما نالها حاتم"[٢٦]، ومن ثم صار اسمه عَلَمًا على الجود، حتى يُقال في وصف جـــوادٍ لا يُجارى: أجود من حاتم[٢٧].

"**أَجْوَدُ مِنْ كَعْبِ ابْنِ مَامَةَ**"[٢٨]: وهو رجل من ملوك اليمن اشتهر ببذل الطعام فـــي المجاعات، وكان يجود في حال الشدة كما في حال الرخاء، حتى ذُكر أنـــه آثـــر غيـــره بالطعام حتى مات جوعًا[٢٩]، فاستُعمل مثله دلالةً على الكرم المُفْرِط حدّ الفداء بالنفس[٣٠].

"**أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ**"[٣١]: يقال عن هَرِم بن سنان، الذي عُرف بالسخاء وإطعام النـــاس وبذل المال في الصلح بين القبائل. وقد عُدَّ من سادة الجود، وعُـــرف بإحســـانه وتقـــديره للشعراء، لا سيما في رواية صلحه مع الحارث بن حلزة وغيره[٣٢].

كما عبّر العرب عن الكرم في أشكالٍ أخرى غير مباشرة، منها **إكرام الضيف**، وهو أحد أركان المروءة في الثقافة الجاهلية، فنجد قولهم:

"**أَقْرَى من زَادِ الرَّاكِـــب**"[٣٣]: وهو مَثَل يضرب للرجل الذي لا يملك إلا القليل، ومع ذلك يبذله كله لضيفه، إذ إن "زاد الراكب" معروف بندرته، لكنه يُقسم مع الضـــيف مهمـــا اشتد الفقر.

"**أَقْرَى من حَاسِي الذَّهَبِ**"[٣٤]: يُضرب لمن يُحسن ضيافة ضيفه إكرامًا ورفعةً، ولو كان يعطي أغلى ما يملك، فالكناية عن "حاسِي الذهب" توحي ببذل النفيس، دلالة علـــى أن الكرم عند العربي ليس مقصورًا على الفقراء، بل هو شيمة الكبار والأغنياء أيضًا[٣٥].

---

(٢٦) شرح شواهد المغني لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ٢٠٨/١، تعليق/ أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، سنة ١٣٨٦ه = ١٩٦٦م، والأعلام للزركلي ١٥١/٢.

(٢٧) ينظر: جمهرة الأمثال ٣٣٧/١، ومجمع الأمثال ١٨٢/١.

(٢٨) جمهرة الأمثال ٣٣٨/١.

(٢٩) الأعلام للزركلي ٢٢٩/٥.

(٣٠) ينظر: جمهرة الأمثال ٩٤/١، ومجمع الأمثال ١٨٣/١.

(٣١) جمهرة الأمثال ٣٣٨/١.

(٣٢) ينظر الأعلام للزركلي ٨٢/٨.

(٣٣) جمهرة الأمثال ١٣٣/٢.

(٣٤) جمهرة الأمثال ١٣٣/٢.

(٣٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٧٠/١٤.

"**أَقْرَى من غَيْثِ الضَّرِيكِ**"(٣٦)، و "**أَقْرَى من أَرْمَاق المُقْوِينَ**"(٣٧): كلاهما يضرب للمُعطي الذي لا يرد سائلاً، ولا يُبقي في يده شيئًا، سواء أكان فقيرًا أم غنيًّا، فالضريق أرض مجدبة، فإذا نزل بها الغيث كان نادرًا(٣٨)، وكذلك "أرماق المقوين" أي ماء القوم في القحط، ومن يعطيه يُعدّ في قمة الجود(٣٩).

ومن مظاهر الجود أيضًا، ما ورد في:

"**أَتَاكَ رَيَّانُ بِلَبَنِهِ**"(٤٠): يُضرب في الشخص الكريم الذي يبادر بالعطاء قبل السؤال، أو يُقْبل بالخير طواعيةً دون طلب، وفيه استعارة توحي بوفرة العطاء وسرعة البذل.

"**إن أُضَاخًا مَنْهَلٌ مَوْرُودٌ**"(٤١): يشير إلى مكان كثير الماء، يُقْصَد في القحط، فشبّهوا الجواد الذي لا يُردُّ سائله بمثل هذا المنهل، فهو مقصد للناس في الأزمات، كما يُقصد الجواد في النوائب.

"**أَرْخِ يَدَيْكَ وَاسْتَرْخِ، إِنَّ الزِّنَادَ مِنْ مَرْخ**"(٤٢): هذا المثل يحثّ على الجود والبذل، ويؤكد أن العطاء لا ينقص المال بل يزيده، كأن في "إرخاء اليد" مجازًا عن الكرم، و"مرخ" نبات تُؤخذ منه الزناد، فصار رمزًا للإشعال والإكرام.

وقد بلغت بعض الأمثال حدّ تصوير الجود بما يُشبه **الفداء**، كما في:

"**أعطاهُ إِيَّاه بِقُوفِ رَقَبَتِهِ**"(٤٣): أي أهداه الشيء على حساب نفسه، وهو من أشد ما يدل على الإيثار والبذل حتى آخر ما يملك الإنسان، ولو كان حياته.

وفي تعبيرٍ جمع بين **النُّبل الاجتماعي والوعي الأخلاقي** جاء قولهم: "**لاَ يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاس**"(٤٤)، أي أن المعروف لا يضيع عند الله، ولا يُنسى عند الناس،

---

(٣٦) جمهرة الأمثال ١٣٣/٢.
(٣٧) جمهرة الأمثال ١٣٤/٢.
(٣٨) جمهرة الأمثال ١٣٣/٢.
(٣٩) المستقصى في أمثال العرب ٢٨/١.
(٤٠) جمهرة الأمثال ٧٢/١.
(٤١) جمهرة الأمثال ١٥٠/١، مجمع الأمثال ٥٤/١.
(٤٢) جمهرة الأمثال ١٧٣/١.
(٤٣) جمهرة الأمثال ١٩٤/١.
(٤٤) جمهرة الأمثال ٢٨١/٢.

وهو مَثَل يرسي مبدأً اجتماعيًا وأخلاقيًا يُشجع على الجود، لأنه محفوظ في الذاكرة الجمعية، ومكتوب في الصحائف الربانية.

وهكذا يتضح أن الكرم في التصور العربي القديم كان نسيجًا لغويًا وثقافيًا وأخلاقيًا متكاملًا، امتزج فيه البُعد الإنساني بالبعد الاجتماعي، حتى صار الكرم هو المعيار الأول للسيادة، والمفتاح الذهبي للقبول في القبيلة، بل للخلود في الذاكرة المثلية للأمة.

ثانيًا: البنية البلاغية والتركيبية لأمثال الكرم:

تميزت الأمثال العربية التي تناولت قيمة الكرم ببنية لغوية مشحونة بالتصوير البلاغي والتكثيف الدلالي، وهو ما منحها طابعًا فنيًّا خاصًا، جعلها أكثر تأثيرًا وانتقالًا في الذاكرة الجمعية. وقد اتخذت هذه البنية صيغًا بلاغية وتركيبية متعددة، أبرزها: المجاز، والتضاد، وصيغ الأمر والنهي، والنفي، وصيغة التفضيل.

١- **المجاز:** يتجلى المجاز في كثير من أمثال الكرم، ويهدف إلى تكثيف المعنى وتوسيعه. من ذلك مثل: "**أتاك ريان بلبنه**"(٤٥)، وهو مجاز في إهداء الضيافة قبل الطلب، فـ"ريان" دالٌّ على الشبع والارتواء، و"لبنه" رمزٌ للكرم والعطاء، فيُصور المثل المُضيف في هيئة الواهب الممتلئ بالعطاء، لا منّة فيه ولا بخل. وكذلك قولهم: "**أرخِ يديك واسترخِ، إن الزناد من مرخ**"(٤٦)، حيث "المرخ" شجرة يسهل قدح الزناد منها، فاستُعيرت للإشارة إلى سهولة الكرم في نفس المُعطي.

٢- **التضاد:** وقد حضرت البنية التضادية لتأكيد المعنى وضده، كما في قولهم: "**لا يذهب العُرف بين الله والناس**"(٤٧)، حيث يتقابل "العرف" بمعنى المعروف والإحسان، مع "الذهاب" الذي يُراد به النسيان أو الزوال، فيُفهم من المثل أن المعروف لا يضيع وإن خفي عن الناس، مما يعزز قيمة الكرم بوصفه محفوظًا عند الله وإن جُحِد من الناس.

(٤٥) جمهرة الأمثال ٧٢/١.
(٤٦) جمهرة الأمثال ١٧٣/١.
(٤٧) جمهرة الأمثال ٢٨١/٢.

٣- **صيغ الأمر والنهي:** تُستعمل صيغ الأمر أحيانًا لحث السامع على الجود، وإن جاءت بصيغة تقريرية كما في: "**أعطاه إياه بقوف رقبته**"(٤٨)، حيث تُصوّر العبارة العطاء في صورة مقايضة بالنفس، أي بذل ما يعادل الحياة، وهو أمر ضمني بحُسن البذل عند الشدة. كما يدل على التوصية الضمنية بالسخاء.

٤- **النفي:** ورد في بعض الأمثال استعمال النفي لتقوية الإثبات أو لنفي الصورة السلبية، كقولهم: "**لا يذهب العرف بين الله والناس**"(٤٩)، حيث نُفي زوال المعروف، ليُفهم أنه باقٍ محفوظ. فالبنية هنا تؤكد قيمة الكرم عبر النفي، وتُشعر السامع بالأمان من ضياع الخير.

٥- **التفضيل:** برزت صيغة التفضيل في معظم أمثال الكرم مثل: "**أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ**"(٥٠)، "**أَجْوَدُ مِنْ كَعْبِ ابْنِ مَامَةَ**"(٥١)، و"**أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ**"(٥٢)، للدلالة على أن الكرم صفة منتشرة، ولكن هذا الشخص فاق بها غيره حتى صار مضربًا للمثل. وهي بنية تُرسّخ المفاضلة بين الأفعال، وتُحفّز على بلوغ المراتب العليا في العطاء(٥٣).

ومن ثَمَّ يتضح أن البنية البلاغية والتركيبية لأمثال الكرم ليست مجرد زخرف لغوي، بل هي وسيلة فنية لتثبيت قيمة أخلاقية، وتكريسها في الوعي الجمعي العربي، عبر صور مجازية وتراكيب قوية التأثير والدلالة.

ثالثًا: الكرم في السياق الاجتماعي: بين البيئة الصحراوية ونظام القبيلة:

ارتبط الكرم في الذهنية العربية القديمة بضرورات اجتماعية وبيئية فرضتها طبيعة الحياة الصحراوية القاسية، حيث كانت ندرة الموارد وتقلّب الظروف المناخية تمثلان تحديًا دائمًا للفرد والمجتمع. من هنا، لم يكن الكرم مجرد فضيلة أخلاقية، بل ضرورة

(٤٨) جمهرة الأمثال ١٩٤/١.
(٤٩) جمهرة الأمثال ٢٨١/٢.
(٥٠) جمهرة الأمثال ٣٣٦/١.
(٥١) جمهرة الأمثال ٣٣٨/١.
(٥٢) جمهرة الأمثال ٣٣٨/١.
(٥٣) العرب في العصور القديمة د. لطفي عبد الوهاب ص٢٨٣، دار المعرفة الجامعية، ط.٢ (د.ت).

وجودية تضمن التضامن، وتحفظ التماسك الاجتماعي، وتُعلي من شأن المُعطي في سلم القيم القبلية.

لقد كانت **البيئة الصحراوية** تفتقر إلى الموارد الأساسية، خصوصًا الماء والغذاء، مما جعل فعل العطاء موقفًا بطوليًّا يُقاس بمقدار التضحية لا الوفرة. ولذا، حين يُقال: "**أَجْوَدُ مِنْ كَعْبِ ابْنِ مَامَةَ**"(٥٤) أو "**أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ**"(٥٥)، فإن المقصود ليس السخاء في حالة الغنى، بل القدرة على البذل في أوقات القحط، وهو ما جعل المثل يُخلّد الشخص لا لعطائه فقط، بل لتجاوزه طبيعة الندرة وتحدّيه لها.

كما أن **نظام القبيلة** في الجاهلية كان قائمًا على مبدأ "الفخر بالسخاء"، فكل قبيلة تسعى إلى رفع شأنها من خلال أفرادها الكرماء، فصاحب العطاء يُعدّ وجهًا مشرفًا لقبيلته، يُستعان به وقت الأزمات، ويُقصَد في طلب الضيافة والمأوى. وقد ارتبط هذا المعنى بمثلهم: "**أَقْرَى من زَادِ الرَّاكِبِ**"(٥٦)، فزاد الراكب في الصحراء رمز للقوت القليل، ومع ذلك فهو يُقدَّم للضيف، مما يعكس سموّ قيمة الكرم حتى في أقل الموارد(٥٧).

ومن الأمثال الدالة على فاعلية الكرم في رسم المكانة الاجتماعية قولهم: "**إن أُضَاخًا مَنْهَلٌ مَوْرُودٌ**"(٥٨)، حيث "أُضاخ" هو مورد ماء كريم، كثير العطاء، لا يُمنع منه وارد، والمثل يُطلق على الشخص الذي يقصده الناس عند الحاجة، فشُبِّه بالمورد الذي لا ينضب، في دلالة على أن الكرم يُحوّل الإنسان إلى ملاذ اجتماعي، لا مجرد فرد معطاء.

ويُفهم من ذلك أن الكرم كان وسيلة لترسيخ **القيادة الاجتماعية**، حيث كان الكرم قرينًا للمروءة والنجدة، وسبيلًا إلى السيادة داخل القبيلة. فليس غريبًا أن يُصبح قولهم: "**أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ**"(٥٩) معادِلًا للذروة في سلم الشرف والمكانة، لأن حاتم الطائي لم يُعرف بحجم ما يملك، وإنما بما يقدّم دون انتظار مكافأة.

---

(٥٤) جمهرة الأمثال ٣٣٨/١.
(٥٥) جمهرة الأمثال ٣٣٨/١.
(٥٦) جمهرة الأمثال ١٣٣/٢.
(٥٧) دراسات في اللسانيات التطبيقية د. هايل محمد الطالب ص٦٧، وزارة الثقافة بدمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب سنة ٢٠١٧م.
(٥٨) جمهرة الأمثال ١٥٠/١، مجمع الأمثال ٥٤/١.
(٥٩) جمهرة الأمثال ٣٣٦/١.

وهكذا فإن الكرم في المجتمع العربي لم يكن انعكاسًا لحالة مادية فحسب، بل هو **سلوك ثقافي** يُعيد ترتيب العلاقات الاجتماعية، ويؤسس لشبكة من القيم التي تضمن البقاء والشرف في آنٍ واحد.

رابعًا: تحولات دلالة الكرم في ظل الإسلام وتوظيف الأمثال في ترسيخه:

لقد شكّل ظهور الإسلام نقطة تحوّل جوهري في منظومة القيم العربية، ومنها قيمة الكرم، حيث انتقل المفهوم من كونه سلوكًا يهدف إلى الوجاهة الاجتماعية واكتساب الفخر القبلي، إلى كونه **عبادة وقربة إلى الله**، ومظهرًا من مظاهر الإيمان العميق، وجزءًا من تربية النفس على السخاء، وتحريرها من عبودية المال.

فقد كان الكرم في الجاهلية وسيلة للفخر، كما يظهر في الأمثال الجاهلية من قبيل: "**أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ**"(٦٠)، و"**أقْرَى من زَادِ الرَّاكِب**"(٦١)، وهي أمثال تمجّد العطاء بوصفه مظهرًا من مظاهر السيادة والريادة القبلية، بينما أصبح الكرم في الإسلام مقصدًا أخلاقيًّا يتصل بـ"النية" و"الثواب الأخروي"، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] (٦٢).

ومن أبرز ما يتضح في هذا التحوّل أن **الأمثال العربية التي تمجّد الكرم** بقيت حاضرة، لكنّ السياق تغيّر، فأصبحت تُقرأ في ضوء المثل النبوي: "**ما نقص مال من صدقة**"، و"**اتقوا النار ولو بشق تمرة**"، مما منحها بعدًا تربويًّا، إذ باتت تُستخدم لتنشئة الفرد المسلم على معاني العطاء الصادق.

وبذلك تحوّلت الأمثال من وسيلة لتعزيز الفخر الشخصي إلى **أداة تربوية** تُنمّي قيمة الإيثار، وتغرس في النفس معنى التضامن، كما في المثل: "**لا يذهب العرف بين الله**

(٦٠) جمهرة الأمثال ٣٣٦/١.
(٦١) جمهرة الأمثال ١٣٣/٢.
(٦٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ) ٤١٢/٢، تح/ مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط.٢ سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

والناس"[٦٣]، الذي أصبح يُفهم على أن الله لا يضيع أجر المحسنين، وأن المعروف محفوظ في ميزان الأخلاق والإيمان.

ومما يُلاحظ أن دلالة الكرم توسّعت في الإسلام لتشمل **كرم المشاعر والسلوك والتسامح**، لا كرم المال وحده، وأضحت العبارة التي تُقال عند الكرماء: "**أتاك ريّان بلبنه**"، تقال على سبيل التفاؤل والبشرى بالخير، محمّلة بدلالات الرحمة والبذل، لا مجرد الكرم الحسيّ. وكذلك مثلهم: "**أرخِ يديك واسترخِ، إن الزناد من مرخ**"[٦٤]، الذي يحث على البذل دون قلق، صار يُقرأ في ضوء التوكل على الله واليقين بخلفه.

وهكذا صاغ الإسلام تصورًا متكاملًا لقيمة الكرم، عماده الجمع بين النية والإحسان، والعطاء والتواضع، واستثمر الأمثال الجاهلية لا لمحاربتها، بل لإعادة توجيهها نحو أهداف تربوية إيمانية، فغدت الأمثال وسيلةً حيوية في بناء الوجدان الأخلاقي للفرد المسلم، وربط السلوك الاجتماعي بالغاية الدينية.

(٦٣) جمهرة الأمثال ٢٨١/٢.
(٦٤) جمهرة الأمثال ١٧٣/١.

المبحث الثاني

قيمة الحِلْم ومظاهرها اللغوية والاجتماعية

يحظى الحِلم بمكانة مرموقة في سلّم القيم الأخلاقية لدى العرب، إذ عدّوه دليلاً على رُجحان العقل، واتزان النفس، وسمو الخُلق، وجعلوه قرينَ السيادة والريادة في المجتمع القبلي(٦٥). وقد انعكس هذا التقدير في كثافة الأمثال التي تتغنّى بالحِلم، وتُعلي من شأن الحليم، وتُقدّمه أنموذجًا يُحتذى في ضبط النفس وكظم الغيظ.

ويهدف هذا المبحث إلى تتبّع مظاهر هذه القيمة في الأمثال العربية، من حيث بنيتها اللغوية، ودلالاتها الاجتماعية، ووظيفتها الخطابية، للكشف عن عمق الأثر الذي أحدثته في توجيه السلوك وإرساء ملامح التهذيب الجمعي.

أولًا: الحِلم عند العرب ومكانته في سلّم القيم الأخلاقية:

كان الحِلم من أسمى الفضائل التي اعتز بها العربي في الجاهلية، واعتبرها مقياسًا حقيقيًّا للرُّجولة والنُّبل، بل غدت سمةً لازمةً لأهل الحِكمة والوقار، ولطالما اقترن الحِلم بالمكانة الرفيعة والهيبة في أعين الناس، حتى عُدّ من خصال السيادة والقيادة في القبيلة، فلا يُقدَّم في الرأي، ولا يُؤخذ بكلام إلا من عُرف بالحلم والتعقّل، وسعة الصدر، وكظم الغيظ.

والتأمل في سلّم القيم عند العرب يكشف أن الحِلم لم يكن مجرد خلق محبذ، بل كان ضرورة اجتماعية تمليها طبيعة الحياة القبلية التي تقوم على الاختلاط المستمر والاحتكاك الدائم، وكثرة الحوادث والمواقف المثيرة للغضب، مما يجعل التروي والتعقل مطلبًا لصون الجماعة من الفوضى، وتحقيق التوازن بين الأفراد.

وقد أكدت الأمثال العربية على هذه المكانة الرفيعة للحِلم، وأبرزت دوره في ضبط النفس، وتوجيه السلوك، وتكريس مبدأ الحكمة في مواجهة الجهل والاندفاع.

من أشهر الأمثال التي خلدت هذه القيمة قولهم: "**أَحْلَمُ مِنَ الأَحْنَفِ**"(٦٦)، وهو مثل يُضرب في غاية الحِلم وكظم الغيظ، والأحنف بن قيس من كبار الحلماء في التاريخ

(٦٥) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ٢٢١/٢.
(٦٦) جمهرة الأمثال ٣٤٣/١.

العربي، حتى قيل: "كان إذا غضب رجع إلى بيته، فجلس حتى يسكن غضبه، ثم يخرج"، فصار مضرب مثل في الحِلم. وليس المقصود بالحلم هنا مجرد الصبر، بل هو الامتناع الواعي عن ردّ الإساءة، والتحكم الكامل في الانفعال، وتغليب العقل على الهوى(٦٧).

كذلك يقال: "**أَحْلَمُ مِن سِنَانٍ، وَأَحْزَمُ مِن سِنَانٍ**"(٦٨)، وهو مثل يجمع بين الحِلم والحزم، للدلالة على أن الحليم ليس ضعيفًا، بل هو الذي يملك القوة ويضبطها. وهذا الجمع يُشير إلى أن الحِلم في الثقافة العربية لا ينفصل عن الحكمة والعقل والتدبير.

ويُقال أيضًا: "**رُبَّمَا أَعْلَمُ فَأَذَرُ**"(٦٩)، وهو مثل دقيق يُظهر أن الحليم ليس غافلًا عما يُقال أو يُفعل، بل يُدرك ويتجاوز، ويفضل الإعراض، وفي ذلك تنبيه على أن التجاهل لا يصدر إلا عن إدراكٍ، لا عن جهل.

ومن الأمثال المعبرة قولهم: "**الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهُولِ**"(٧٠)، وهو تعبير ساخر يظهر كيف يمكن للجاهل أن يستغل حلم العاقل فيتمادى، مما يضع الحليم أحيانًا في موضع الصبر المرهق، وهو ما يسلط الضوء على الصراع القيمي بين فضيلة الحِلم وغلبة النزعات الجاهلة في بعض الأوقات.

وقد امتدح الإسلام هذه القيمة، ورفع من شأنها، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وجاء عن النبي ﷺ: "ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"، فاستقرت قيمة الحِلم في البناء الأخلاقي الإسلامي بوصفها خلق الأقوياء.

ويُستنتج من هذه الأمثال أن الحِلم كان قيمة نخبوية في العقل العربي، مقياسًا للرجولة، وسلوكًا يدل على الاتزان والقدرة على القيادة. كما كانت هذه الأمثال وسيلة

---

(٦٧) نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) ٢٣٣/٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط.١ سنة ١٤٢٣هـ.

(٦٨) جمهرة الأمثال ٣٤٣/١.

(٦٩) جمهرة الأمثال ٤٩٠/١.

(٧٠) جمهرة الأمثال ٣٥١/١.

لغرس هذا المعنى في الأجيال، وتنبيه الأفراد إلى أثر الحلم في تهذيب النفس وحفظ الجماعة من التصادم والانقسام.

ثانيًا: التراكيب اللغوية في أمثال الحِلم ودلالاتها التداولية:

إن الأمثال التي تمثّل خلق الحِلم في الثقافة العربية لا تُبرز المعنى الأخلاقي فحسب، بل تُوظّف تراكيب لغوية مخصوصة تشي بالرسالة الثقافية العميقة الكامنة وراء النص، وتعكس درجة الوعي الجماعي لدى المتلقّي العربي، مما يجعل تحليلها التداولي والبلاغي أمرًا ضروريًّا لفهم ما تحمله من مضامين توجيهية.

من أبرز التراكيب التي تظهر في أمثال الحِلم: **الجمل الشرطية**، التي تُستعمل بكثافة لنقل مواقف افتراضية مشروطة، توحي بالحكمة ورباطة الجأش في سياقات الاختبار والانفعال(٧١).

من ذلك مثلهم: "**إذا نَزَا بك الشرُّ فاقعدْ به**"(٧٢)، وهو تركيب شرطي يُظهر كيف أن الحِلم ليس امتناعًا سلبيًّا، بل سلوك مدروس ناتج عن تعقّل، فالشر عندما يستفز الإنسان لا يُواجه بمثله، بل يُحبس بالتأمل والهدوء. ويُحيل فعل الشرط "نزَا" إلى فورة الغضب، بينما يدل جواب الشرط "فاقعد به" على كبح هذه الفورة وضبطها(٧٣).

كذلك يُلاحظ في أمثال الحِلم استعمال **أفعال الامتناع**، التي تُبنى على **النفي** أو **الإضراب**، فيُفهم منها أن الحليم هو الذي يعلم فيسكت، ويُقدر فيعفو، لا لضعف بل لحكمة(٧٤).

---

(٧١) الحِجَاج في كليلة ودمنة لابن المقفع د. حمدي منصور جودي ص٢٧٦، مركز الكتاب الأكاديمي، ط.١ سنة ٢٠١٨م.

(٧٢) جمهرة الأمثال ٦٣/١.

(٧٣) دراسات في اللسانيات التطبيقية د. هايل محمد الطالب ص٦٧، وزارة الثقافة بدمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب سنة ٢٠١٧م.

(٧٤) التركيب النحوي وشواهده القرآنية د. محمد أبوالفتوح شريف ١٨٥/١، مكتبة الشباب، ط.٢ سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

من ذلك قولهم: "**رُبَّمَا أَعْلَمُ فأَذَرُ**"(٧٥)، وهو تعبير يختصر سلوك الحليم الذي يرى الزلل ويتجاوز عنه بقصد الإصلاح لا التجاهل. وهذه البنية تفيد الاستعلاء الأخلاقي والتسامح المقصود، مما يعكس جانبًا من الذكاء العاطفي والاجتماعي في بنية الحلم.

أما على مستوى **الأدوات البلاغية**، فإن **المجاز والكناية** يبرزان بشكل واضح في هذا الباب. مثال ذلك المثل: "**الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهُولِ**"(٧٦)، وفيه **استعارة** تصوّر الحليم كـ"مطيّة" يركبها الجاهل، إشارة إلى سعة حلمه واحتماله الأذى، وهذا التصوير يُضمر انتقادًا للجاهل الذي لا يقدّر سمو الحِلم، ويُحذّر من الإفراط في الحلم حتى لا يُفهم على أنه ضعف(٧٧).

ويُلاحظ أيضًا في بعض الأمثال **الاقتصار البلاغي**، كما في قولهم: "**مَلَكْتَ فَاسْجِحْ**"(٧٨)، وهو تعبير آمر ينطوي على تعريض ذكي. فـ"ملكت" تعني السيطرة والانتصار، و"فاسجح" تعني تلطف، أي إذا غلبتَ فلا تُهنْ المغلوب، مما يدل على أن الحِلم لا يكون إلا من موقع القوّة والتمكن(٧٩). والبنية هنا تنتمي إلى ما يسميه علماء التداولية بـ"الأفعال الكلامية التوجيهية"، التي تحث المتلقّي على سلوك معيّن ضمن سياق اجتماعي واضح.

إن هذه **التراكيب** في مجملها تكشف أن لغة المثل لم تكن لغة **تقريرية** أو **وصفية**، بل كانت وسيلة **للتوجيه والإقناع**، استخدمت أدوات الشرط والنفي والأمر والاستعارة بحنكة، لتحقيق وظيفة تداولية تضبط العلاقة بين الفرد والمجتمع. ويظهر من خلال تحليلها أن المثل لا يُقصد به التعليم المباشر، بل البناء **التدريجي للقيمة الأخلاقية**، عبر شحن لغوي يراعي المقام، ويحترم الذوق العام في التعبير والتأثير(٨٠).

---

(٧٥) جمهرة الأمثال ٤٩٠/١.
(٧٦) جمهرة الأمثال ٣٥١/١.
(٧٧) المستقصى في أمثال العرب ٣١٣/١.
(٧٨) جمهرة الأمثال ٢٤٨/١.
(٧٩) الأمثال لزيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (ت بعد ٤٠٠هـ) ص٢٥٥، دار سعد الدين، دمشق، ط.١ سنة ١٤٢٣هـ.
(٨٠) صورة العصر في الأمثال الجاهلية، ص١٠٧.

ثالثًا: التحليل الاجتماعي لأمثال الحِلم: ضبط النفس وحفظ الجماعة:

يشكّل الحِلم قيمة اجتماعية راسخة في المجتمع العربي القديم، وقد ارتبط هذا الخُلُق في الذهنية القبلية بالقيادة والهيبة، إذ لا يُعدّ الرجل أهلًا للزعامة ما لم يكن حليمًا، قادرًا على امتصاص الغضب، متماسكًا أمام الاستفزاز، ضابطًا لنفسه في مواقف التهيّج. ومن هنا، فقد اكتسبت أمثال الحِلم بعدًا اجتماعيًا مزدوجًا: فهي من جهة **تُعلي من شأن الانضباط الذاتي**، ومن جهة أخرى **تضمن استقرار الجماعة** وتماسكها الداخلي.

في هذا السياق، نجد مثلًا عربيًا بليغًا يقول: "**الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهُولِ**"(٨١)، وهو مثل يُضمر أكثر مما يصرّح؛ إذ يجعل من الحليم محتمِلًا لتجاوزات الجاهل، لا لعجزه عن الرد، ولكن لإدراكه أن ضبط النفس هو الكفيل بحفظ هيبة القائد واستقرار الجماعة.

فالحليم يُقدَّم هنا بصفته حاميًا للنظام القبلي، لا ينساق خلف ردود الأفعال، بل يزن الأمور بموازين العقل والتجربة. والمطية في المثل كناية عن التحمل والصبر، كما يُفهم ضمنًا أن الجاهل إنما يُعري نفسه بمقابل هذا التسامي الأخلاقي.

ومن الأمثال التي تُجسِّد هذا البعد قولهم: "**رُبَّمَا أَعْلَمُ فَأَذَرُ**"(٨٢)، وفيه اعتراف ضمني بقدرة الحليم على رد العدوان، لكنه يختار الإغضاء، تأليفًا للقلوب وتحصينًا للجماعة. ويكشف هذا المثل عن وعي اجتماعي عميق بمبدأ درء الفتنة قبل نشوبها، ويُظهر أن الحِلم في صورته الاجتماعية ليس خُلُقًا فرديًّا فحسب، بل سياسة قيادة تحفظ البناء القبلي من التصدّع.

وإذا نظرنا في مثلهم: "**مَلَكْتَ فَاسْجِحْ**"(٨٣)، وجدنا توجيهًا صريحًا نحو استخدام الحِلم عند التمكّن، فالسيطرة لا تعني البطش، بل تتطلّب من القائد أن يسوس خصومه بالحكمة، وأن يُجيد تهذيب الغلبة بالصفح، مما يُفضي إلى حفظ ماء وجه الخصم، ومن ثمّ ضمان ولائه أو على الأقل تحييد أذاه. وهذا يعبّر عن استراتيجية اجتماعية عريقة في إدارة الصراعات داخل المجتمع العربي التقليدي.

---

(٨١) جمهرة الأمثال ٣٥١/١.
(٨٢) جمهرة الأمثال ٤٩٠/١.
(٨٣) جمهرة الأمثال ٢٤٨/١.

واللافت في السياق القبلي، أن الحِلم لم يُنظر إليه فقط كفضيلة أخلاقية، بل كأداة للحكم وصيانة النظام، ولذلك كان الأحنف بن قيس – مثلًا – يضرب به المثل في الحِلم، فيقال: "**أَحْلَمُ مِنَ الأَحْنَفِ**"(٨٤)، إذ كان لا يردّ السيئة بمثلها، ولا يُستثار إلا بعد طول أناة، حتى قيل إنه كان يُستفز فلا يرد إلا بالحكمة.

وهكذا شكّلت أمثال الحِلم خارطة أخلاقية ترسم ملامح القيادة الرشيدة التي تحفظ وحدة الجماعة، وتُعزز قيم التسامح والاحتواء في ظل علاقات قَبَلية محفوفة بالتوترات والصدامات.

رابعًا: التفاعل الخطابي في المثل: الحِلم كرسالة وعظة اجتماعية:

يتجاوز المثل العربي في وظيفته حدود الوصف والتسجيل، ليغدو أداة خطابية فعالة ذات طابع توجيهي، تُسهم في تهذيب السلوك وإصلاح الخلل الأخلاقي داخل الجماعة. وتُعدّ أمثال الحِلم من أبرز نماذج هذا التفاعل الخطابي، إذ تُطلق كرسائل اجتماعية تختصر التجربة البشرية في عبارة موجزة تُحدث أثرًا بليغًا في السامع، وتُرغّبه في التحلّي بالحِلم وضبط النفس، وتُرغّبه عن الانفعال والعنف.

فالمثل: "**الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهُولِ**"(٨٥)، رغم ظاهره السلبي، يحمل مضمونًا تهذيبيًّا دقيقًا؛ إذ يُوجِّه المستمع إلى أهمية الصبر والتحمل في وجه الجهل، ويُضمر نوعًا من التفوق الأخلاقي الذي يجعل من الحليم أرفع مقامًا من الجاهل. وفي الوقت ذاته، يُقدَّم المثل كتحذير غير مباشر للجاهل نفسه من التمادي، لأنه يجعل فعله مكشوفًا ومُدانًا أمام وعي المجتمع.

وكذلك المثل: "**إِذَا نَزَا بِكَ الشَّرُّ فَاقْعُدْ بِهِ**"(٨٦)، يحمل خطابًا صريحًا يُعالج الغضب والانفعال بأسلوب تشبيهي مباشر، يحوّل الشر إلى بهيمة جامحة يمكن كبحها بالجلوس، في إشارة إلى كظم الغيظ واحتواء الموقف بالحِلم. وهو مثل إجرائي، يرشد السلوك ويوجّه

(٨٤) جمهرة الأمثال ٣٤٣/١.
(٨٥) جمهرة الأمثال ٣٥١/١.
(٨٦) جمهرة الأمثال ٦٣/١.

الفعل في لحظة الأزمة، مما يدل على استثمار المثل في ضبط الفعل الفردي بما يخدم استقرار الجماعة(٨٧).

أما المثل: "**مَلَكْتَ فَاسْجِحْ**"(٨٨)، فيوجّه الخطاب نحو القوي، فيطلب منه أن يُظهر حِلْمه لا عند الضعف، بل عند التمكّن، مما يمنح المثل بعدًا تربويًّا راقيًا، يُربي على التوازن بين السلطة والعفو، ويجعل من الحِلم فضيلة للقادة لا الضعفاء. وهو بذلك يحوّل المثل إلى وسيلة تواصل أخلاقي بين الجماعة، يُذكّرهم بما هو أليق بالسلوك الجمعي وأحفظ للتماسك الاجتماعي.

إن هذه الأمثال وغيرها ليست مجرد عبارات تراثية، بل خطابات اجتماعية حيّة، تُؤدي وظيفة وعظية داخل الوعي الجمعي، وتُسهِم في بناء تصوّر ثقافي مشترك عن السلوك القويم. ومن ثم، فإن توظيف المثل في هذا الإطار يُعَدّ جزءًا من البنية التربوية غير الرسمية التي اعتمدت عليها المجتمعات العربية قبل ظهور مؤسسات التعليم النظامية.

(٨٧) التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه د. كريم زكي حسام الدين ١٧٦/١، دار غريب، سنة ٢٠٠٠م (د.ط).
(٨٨) جمهرة الأمثال ٢٤٨/١.

المبحث الثالث

قيمة القَنَاعَة في ضوء التعبيرات المَثلية

تُعد القناعة من القيم المحورية التي شكّلت وجدان الإنسان العربي في بيئة قاسية قليلة المورد، فكانت بمثابة الدرع النفسي والاجتماعي الذي يُعزز الرضا، ويكبح نوازع الطمع والتذمّر(٨٩).

وقد انعكس هذا التصور في عدد من الأمثال العربية التي جسّدت القناعة لا بوصفها عجزًا، بل اختيارًا نابعًا من حكمة التجربة ومعاناة الحياة. ومن خلال هذه الأمثال، تتجلّى القناعة كقيمة دينية واجتماعية تُسهم في ضبط السلوك، وبناء التوازن النفسي، وتدعيم العلاقات المجتمعية، حيث يُعاد تشكيل الرؤية تجاه المال، والرغبة، والرضا، في ضوء خطاب مثلي شديد الكثافة، غني بالدلالات الأخلاقية والاجتماعية(٩٠).

أولًا: القناعة في المجتمع البدوي: بين الفقر واختيارات الرضا:

مثّلت القناعة في المجتمع البدوي قيمة مركزية تحكم نظرة الإنسان إلى الحياة، وتنظم سلوكه في بيئة تقوم على الندرة والحرمان. فالقناعة لم تكن مجرّد صفة محمودة، بل كانت ضرورة وجودية في صحراء قاسية قليلة الزاد، جعلت من الرضا بالقليل سلوكًا يضمن البقاء، ويعزز الاستقرار النفسي والاجتماعي.

وقد جسدت الأمثال العربية هذا المعنى بوضوح، حيث ارتبطت القناعة بمفهوم "الغنى الحقيقي"، لا كثرة المال.

من أبرز ما يُستشهد به في هذا السياق قولهم: "**إنَّ القُنوعَ الغِنى لا كَثرةُ المالِ**"(٩١)؛ وهو مثلٌ يعبّر عن إدراك العربي أن الغنى النفسي أقيم من الغنى المادي، وأن امتلاء القلب بالرضا خير من امتلاء اليد بالمال.

---

(٨٩) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ) ٤١٢/٢، تح/ مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط.٢ سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

(٩٠) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ص٢١٧، تح/ د. محمد إبراهيم عُبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

(٩١) جمهرة الأمثال ١٧٩/١.

وفي السياق ذاته، جاء المثل: "**يَكفيكَ نصيبُكَ شُحَّ القوم**"[٩٢]، وهو تصوير دقيق لحالة تقبل القليل حين يعزّ العطاء، ويتحول الاكتفاء إلى حكمة اجتماعية تمنح صاحبها الوقار وتجنّبه مذلّة السؤال.

ومن الأمثال الدالة على التكيف مع البيئة الشحيحة قولهم: "**ارْضَ مِنَ العُشبِ بالخُوصَةِ**"[٩٣]، وفيه يُحَثّ الفرد على الاكتفاء بما يمكن تحصيله من أقل القليل، كأن الخُوصة ــ وهي ورقة النخل ــ تصبح بديلًا عن العشب، دلالةً على مرونة نفس القنوع.

كما يبرز المثل: "**سِدَادٌ من عَوَزٍ**"[٩٤] مفهوم الحدّ الأدنى الذي يفي بالحاجة ويعبر عن حالة الرضا المنضبطة.

وتعكس هذه الأمثال رؤيةً فلسفية راسخة في الفكر البدوي، ترى أن الإلحاح في الطلب، أو التشكي من القِلّة، لا يغيّر من الواقع شيئًا، بل يذهب بالكرامة، ويجعل المرء عبدًا لحاجاته، بينما تُحرّره القناعة وتُعليه منزلةً بين قومه[٩٥].

لذا جاء المثل: "**غَثُّكَ خَيْرٌ منْ سَمِينِ غَيْرِكَ**"[٩٦] ليجسد هذه النزعة الفطرية إلى القبول بما هو متاح، والابتعاد عن التطلع إلى ما في يد الآخرين، ما دام المرء يملك ما يسد رمقه ويعفه عن الناس.

إن هذه الأمثال، بوصفها مرايا لوجدان الجماعة، تكشف عن تصور ثقافي عميق للقناعة، يجعلها فعلًا نابعًا من وعي ذاتي، لا مجرد تسليم للأمر الواقع، بل انحياز اختياري إلى حياة الكفاف المحفوفة بالعزّة والرضا.

ثانيًا: البنية التركيبية لأمثال القناعة: بين الأمر والخبر والتقابل اللفظي:

تتسم الأمثال التي تعكس قيمة القناعة ببنية تركيبية تتراوح بين الصيغ الإنشائية والخبرية، مما يعكس وظيفتها التوجيهية والإرشادية، ويُظهر قدرتها على التأثير في الوعي الجمعي، وتحقيق التوازن بين البيان البلاغي والحكمة السلوكية.

---

(٩٢) جمهرة الأمثال ٤٢٦/١.
(٩٣) جمهرة الأمثال ١٧٨/١.
(٩٤) جمهرة الأمثال ٥٢٦/١.
(٩٥) صورة العصر في الأمثال الجاهلية ص١٠٧.
(٩٦) جمهرة الأمثال ٨١/١.

وتُوظَّف في هذه الأمثال صيغ الأمر، والنهي، والتحذير، والمجاز، والتقابل اللفظي، لتأكيد فكرة الرضا والبعد عن الطمع بطريقة مختزلة مكثفة يسهل تداولها واستحضارها في السياق الاجتماعي(٩٧).

من الأمثلة التي تبين استخدام **الأسلوب الخبري** قولهم: "**إنَّ القُنوعَ الغِنى لا كثرةُ المالِ**"(٩٨)، حيث تأتي الجملة في صورة تقريرية تقرّ بحقيقة اجتماعية وأخلاقية مفادها أن الغنى الحقيقي إنما هو في القناعة لا في كثرة المال. وقد صيغت الجملة **بأسلوب إخباري** حاسم يمنحها قوة إثباتية ذات بعد قيميّ(٩٩).

كذلك المثل: "**سِدادٌ من عَوَزٍ**"(١٠٠)، وهو تركيب اختزالي، يقرر أن أدنى درجات الكفاية – ولو مع الحاجة – أهون من الفاقة الكاملة.

أما على مستوى **الأسلوب الإنشائي**، فنجد استعمالًا لصيغة **الأمر** في المثل:"**ارْضَ من العشب بالخوصة**"(١٠١)، حيث يُؤمر السامع بالرضا بالقليل، ويُستعمل هذا الأسلوب بوظيفة أدبية تعكس سلطة القول وتجعل من المثل وصية سلوكية تقابل النصوص الدينية أو المأثورات(١٠٢).

ويتكرر ذلك في قولهم: "**رَضِيتُ من الوفاءِ باللفّاءِ**"(١٠٣)، وهو خبر يُراد به إنشاء؛ لأنه يحمل دلالة ضمنية تحث على التواضع في الطلب، والرضا بأبسط درجات الوفاء.

كما يظهر **التحذير والتنفير** في بعض الأمثال من خلال **البناء النحوي**، كقولهم: "**ليس الرِّيُّ عن التشافِّ**"(١٠٤)، حيث تأتي الجملة في صيغة النفي، لتنفي فكرة الاكتفاء من التطلع إلى ما في يد الغير، مما يوصل المعنى التحذيري بصورة غير مباشرة(١٠٥).

---

(٩٧) بحث بعنوان: نحوُ الأمثال د. تراث حاكم الزيادي ص٧٩، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد الثامن، العدد الأول، سنة ٢٠٠٩م.

(٩٨) جمهرة الأمثال ١٧٩/١.

(٩٩) ينظر: الجملة العربية والمعنى د. فاضل صالح السامرائي، ص٢٤، دار ابن حزم، ط.١ سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

(١٠٠) جمهرة الأمثال ٥٢٦/١.

(١٠١) جمهرة الأمثال ١٧٨/١.

(١٠٢) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د. محمد محمد أبو موسى ص٢٩٦، مكتبة وهبه، ط.٥، سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

(١٠٣) جمهرة الأمثال ٤٩٥/١.

وتُوظَّف الصور **المجازية** بكفاءة، مثل: "**غَثُّكَ خَيْرٌ منْ سَمِينِ غيــرِكَ**"(١٠٦)، حيــث استُخدمت **استعارة** الطعام هنا للدلالة على الرضا بما هو متاح لك وإن كان بسيطًا، أفضل من طعام غيرك وإن بدا فخمًا. وهذا المجاز يُبرز عمق الدلالة الأخلاقية في المثل، ويُثري البعد الثقافي الكامن فيه(١٠٧).

إن هذه البنى اللغوية لا تُؤدِّي فقط وظيفة جمالية، بل تخدم الغرض التداولي للمثل، وهو الإقناع والتوجيه، مما يجعلها شديدة الارتباط بالحياة اليومية، وســريعة النفــاذ إلــى العقل الجمعي.

ثالثًا: التحليل السوسيو–لغوي للبيئة المنتجة للمثل:

يُعدُّ المثل الشعبي نتاجًا لغويًّا وثقافيًّا يعكس بعمقٍ ملامح البيئة التي نشأ فيها، ومن ثم فإن تحليل أمثال القناعة لا ينفصل عن فهم الســياقين: **الاجتمــاعي واللغــوي** اللــذين أفرزاها.

وقد عرفت **البيئة البدوية** القديمة ظروفًا معيشية قاسية، ميزتها قلة الموارد، وقصر العمران، وشح الطبيعة، مما دفع العقل الجمعي إلى تمجيد القــيم التــي تحفــظ التــوازن الاجتماعي والنفسي، وفي مقدمتها القناعة، بوصفها سلوكًا مضادًّا للطمع، وموقفًا داخليًّــا يُواجه به الإنسان الجزع والقلق من الفقر.

وقد عبّرت **الذهنية البدوية** عن هذه القناعة عبر أمثال ذات طابع تقشفي رصــين، كما في المثل: "**غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ**"(١٠٨)، حيث يُشيد هذا التركيب بفكرة الاكتفــاء باليسير المملوك، ولو بدا ناقصًا على تمني ما يملكه الآخرون. فالمثل هنا لا يعالج الفقــر

---

(١٠٤) جمهرة الأمثال ١٩٠/٢.

(١٠٥) كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري ص٦٦، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، سنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م (د. ط.

(١٠٦) جمهرة الأمثال ٨١/١.

(١٠٧) أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ق ن ع) ١٠٤/٢، تح/ محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.١سنة ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م.

(١٠٨) جمهرة الأمثال ٨١/١.

من منظور اقتصادي بل من زاوية أخلاقية قائمة على الضبط النفسي، والرضا الداخلي، وتحاشي مقارنات تهدم السلام الذاتي.

كما نجد في مثل: "**ارْضَ مِنَ العُشْبِ بِالخُوصَةِ**"[١٠٩] تجلّيًا واضحًا لهذه الذهنية، إذ تُرغَّب النفس في القبول بما هو متاح، ولو كان قليلًا لا يفي إلا بالحد الأدنى من الحاجة. والمقارنة هنا قائمة بين العشب وهو الكلأ الكامل، والخوصة، وهي جزء ضئيل منه، مما يعكس تقدير البدو لأي نصيب – مهما صغر – ويبرز قدرتهم على التكيف مع الصعوبات.

أما المثل: "**سِدادٌ من عَوَزٍ**"[١١٠] ، فيُظهر حكمة اجتماعية متجذرة، حيث يُثَمَّن الحدّ الأدنى من الكفاية، ما دام يسدُّ الحاجة. هذا التمثل يربط بين اللغة كأداة تصوير، والسلوك الجماعي كأثر واقعي لتلك القناعة في مواجهة الهلع من الفقر أو تقلب الزمان.

وتكمن القيمة التداولية لهذه الأمثال في أنها لا تكتفي بوصف الواقع بل تعمل على توجيهه، فهي تبني ذهنيًّا بديلًا يعكس أولويات المجتمع البدوي، الذي لم يكن يملك ترف المقارنة الطبقية أو الاستهلاكية، وإنما سعى إلى إرساء قيم تحقق الاستقرار الذاتي والتوازن الاجتماعي.

إن التحليل السوسيو–لغوي لأمثال القناعة يكشف عن علاقة جدلية بين اللغة والواقع، حيث شكّلت القناعة أداة ضبط أخلاقي في مجتمع شحيح، وربطت الرضا بالحكمة لا بالضرورة، وبالغنى النفسي لا المادي، مما جعلها قاعدة ثقافية متينة في الفكر العربي القديم.

رابعًا: القناعة بين التوجيه الأخلاقي والإصلاح الاجتماعي في ضوء المثل:

جاء المثل العربي في كثير من صِيَغه ليمارس دورًا مزدوجًا: **أخلاقيًّا وتربويًّا**؛ فهو من جهةٍ خطابٌ موجَّه يُراد به ترسيخُ قيمٍ بعينها، ومن جهةٍ أخرى أداةٌ للإصلاح المجتمعي تحفظ تماسك الجماعة من خلال إعادة تشكيل السلوك اليومي للأفراد.

---

(١٠٩) جمهرة الأمثال ١٧٨/١.

(١١٠) جمهرة الأمثال ٥٢٦/١.

ومن أبرز القيم التي اشتغل عليها المثل العربي قديمًا قيمة **القناعة**، التي ظلّت مرتبطةً بالرغبة في ضبط النفس وتسكين نوازع التذمر والطمع، وتهذيب الرؤية المادية للحياة.

ففي مثل: "**إن القنوع الغنى لا كثرة المال**"(١١١)، يتجلّى البُعد الأخلاقي في أوضح صوره، إذ يعيد المثل تعريف "الغنى" لا على أساس الممتلكات، بل من خلال حالة داخلية من الرضا، مما يجعل السعي الأخلاقي نحو القناعة أولى من السعي الحسي نحو المال. وهكذا تتداخل الحكمة الأخلاقية مع الإصلاح النفسي، فيُعاد توجيه نظرة الإنسان لذاته ولمحيطه.

أما المثل: "**غَثُّكَ خيرٌ من سَمِين غيرك**"(١١٢)، فهو يُعد خطابًا اجتماعيًّا بامتياز؛ إذ يدعو الفرد إلى نبذ المقارنة بالآخرين، والتركيز على ما يملك مهما كان بسيطًا. وهذا النمط من التوجيه يُجنّب الفرد الشعور بالنقص، ويُرسّخ لديه الاعتزاز بما قسمه الله له، وهو ما يُسهم في تعزيز السكينة المجتمعية والحد من النزاعات والتطلعات المفرطة.

ويتضح الجانب الإصلاحي كذلك في مثل: "**يَكْفِيكَ نَصِيبُكَ شُحَّ القَوْم**"(١١٣)، حيث يُوظَّف المثل لحث الفرد على الاستغناء عن مساعدة من يُعرف عنهم البخل، وذلك بأسلوب نفسي رصين يُربِّي على الكرامة والاكتفاء، ويُقلّل من التذلل الاجتماعي. وهنا نجد أن المثل لا يوجّه الفرد فحسب، بل يُعالج اختلالًا في العلاقات الاجتماعية، وينسج تصورًا بديلًا للتعامل مع الظروف القاسية.

إن المثل العربي، من خلال رمزيته المكثفة، يقوم بوظيفة تربوية عميقة، يربط فيها بين **اللغة والموعظة**، بين **اللفظ والسلوك**، وبين **الحكمة الفردية والصالح الجماعي**. فالقناعة في هذه الأمثال ليست مجرد خُلُق، بل هي **بنية إصلاحية** تعمل على تهذيب الرغبات، وتثبيت الرضا النفسي، وإقامة توازن اجتماعي يحفظ للفرد كرامته ويصون للمجتمع استقراره.

---

(١١١) جمهرة الأمثال ١٧٩/١.
(١١٢) جمهرة الأمثال ٨١/١.
(١١٣) جمهرة الأمثال ٤٢٩/٢.

المبحث الرابع

قيمة الوفاء وتجلياتها في الخطاب المثلي

يُعدّ الوفاء من أرفع القيم الأخلاقية التي عُرفت بها العرب في الجاهلية والإسلام، لما له من صلة وثيقة بحفظ العهد، وصيانة الجوار، وحماية الكرامة الجماعية. وقد احتلت هذه القيمة مكانة متميزة في الذاكرة الثقافية، فخلّدتها الأمثال العربية في نماذج بشرية بارزة، رجالًا ونساءً، صاروا رموزًا للوفاء تُضرب بهم الأمثال(١١٤).

ويهدف هذا المبحث إلى تتبّع تمثلات الوفاء في الأمثال، من حيث تحوّلات التعبير، والبنية التداولية، والوظيفة الاجتماعية، مع إضاءة خاصة على حضور المرأة فاعلًا في صياغة هذه القيمة وتمثيلها داخل الوعي الجمعي.

أولًا: الوفاء في منظومة القيم الجاهلية والإسلامية (الوفاء بالعهد والجوار، وتطوره في الإسلام):

يحظى خُلُق الوفاء بمكانة مرموقة في منظومة القيم الأخلاقية لدى العرب، حيث ارتبط منذ الجاهلية بمفاهيم الشرف والمروءة وصيانة العهد، وشكّل حجر الأساس في بناء الثقة داخل المجتمع القبلي. فقد كان الرجل الجاهلي يُعرف بوفائه كما يُعرف بنسبه وشجاعته، إذ كان الوفاء التزامًا أخلاقيًا لا يقبل التفريط، ولو كلّف ذلك حياة المرء أو حياة أحبّ الناس إليه(١١٥). وقد تجلّى ذلك في عدد من الأمثال العربية التي خلدت شخصيات ضربت مثالًا في حفظ **العهد والجوار**، حتى صار اسمها مرادفًا للوفاء.

من أبرز هذه النماذج: قولهم: "**أَوْفَى مَنَ السَّمَوْءَل**"(١١٦)، حيث يُروى أن السموأل – وهو شاعر يهودي من أهل الجاهلية – فضّل التضحية بابنه على أن يفرّط في أمانة أودعها لديه امرؤ القيس، فصار مضرب المثل في الوفاء، رغم ما عُرف عن قومه من

(١١٤) صورة العصر في الأمثال الجاهلية ص١٠١.
(١١٥) الفُتُوّة عند العرب لعمر الدسوقي ص١١٧، مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥١م (د. ط).
(١١٦) جمهرة الأمثال ٣٤٥/٢.

نقيض هذا الخُلق. وهو ما يدل على أن الوفاء لم يكن مجرد خُلُق فردي، بل كان قيمة تُميّز الأفراد وترتقي بهم في سلّم الاحترام والمكانة الاجتماعية[١١٧].

كذلك يُقال: "**أوفى من فُكَيْهَة**"[١١٨]، وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة، استجار بها السليك بن السلكة من قوم أرادوا قتله، فأدخلته خيمتها وحمته بجسدها، حتى حضرت عشيرتها ومنعوا القوم عنه.

ونجد مثل هذا في "**أوفَى مِنْ أُمِّ جَمِيلٍ**"[١١٩]، التي آوت ضرار بن الخطاب حين كان ملاحَقًا بثأر، ومنعته من القتل إلى أن بلغ مأمنه.

تدل هذه الأمثال على أن الوفاء لم يكن حكرًا على الرجال، بل كانت المرأة الجاهلية شريكًا في تمثُّل هذه القيمة، في إطار يعبّر عن مسؤولية جماعية لحفظ الجوار والعهد، واستقبال المستجير، وهو ما كان يُعد من أعظم صور المروءة[١٢٠].

وعندما جاء الإسلام، أقرّ هذه القيمة وعدّها من مكارم الأخلاق التي جاء ليتممها، لكنه أخرج الوفاء من الدائرة القَبَلية الضيّقة إلى أفق أوسع، فجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٧٧]، وربط بين الوفاء والإيمان، وبين نقض العهد والنفاق[١٢١].

وهكذا أصبح الوفاء في الإسلام التزامًا شرعيًا وأخلاقيًا، يُبنى عليه سلوك الفرد والجماعة، ويُسهم في استقرار العلاقات داخل المجتمع المسلم وخارجه.

ثانيًا: تحولات التعبير المثلي للوفاء: من الشخص إلى النموذج:

لعبت الصياغات المثلية في الثقافة العربية دورًا مهمًّا في تحويل التجارب الفردية إلى نماذج رمزية خالدة، يتداولها الناس بوصفها معيارًا للسلوك، ومرجعية قيمية تُستدعى في مقام الثناء أو الحثّ على الاقتداء.

---

(١١٧) المحاسن والأضداد ص١٥.
(١١٨) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.
(١١٩) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.
(١٢٠) تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص٣٨٨.
(١٢١) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) ٤٤٤/١٧.

ويبرز هذا التحول بوضوح في أمثال الوفاء، التي انتقلت من توصيف واقعة تاريخية مرتبطة بشخص بعينه، إلى بناء صورة ذهنية مجرَّدة عن "الوفي" المطلق، المستحقّ لأن يُقاس عليه الآخرون(١٢٢).

فمن ذلك مثلهم الشائع: "**أَوْفَى مَنَ السَّمَوْءَل**"(١٢٣)، الذي بدأ بوصف حالة وفاء مشهودة، ثم صار تعبيرًا يُضرب به في كل من بلغ الغاية في الوفاء، أيًا كان زمنه أو اسمه. والسموأل لم يُذكر في المثل لذاته، وإنما لما قام به من فعل استثنائي جعله يتحول من "شخص" إلى "رمز"، ومن "حادثة" إلى "قيمة معيارية".

وينطبق هذا أيضًا على مثل: "**أوفى من فُكيهة**"(١٢٤) و"**أوفَى مِنْ أُمِّ جَمِيلٍ**"(١٢٥)، إذ تحوّل الاسم العلم في هذه الأمثال إلى علامة لغوية على خُلُق الوفاء، لا مجرد إشارة إلى شخص بعينه.

ويتجلى ذلك التحول كذلك في الاستخدام الكثيف لصيغة "**أفعل التفضيل**"، كما في (أوفى من فلان)، وهي بنية لغوية ذات حمولة تداولية قوية، إذ لا تكتفي بإثبات الصفة، بل تمنح صاحبها تفوقًا على أقرانه. وهذا يعني أن المثل لا يُشير فقط إلى وفاءٍ عارضٍ، بل إلى وفاءٍ فاق غيره وبلغ حدّ الكمال، مما يعزز من مكانة المثل بوصفه آلية خطابية قوية في ترسيخ النموذج الأعلى للوفاء.

كما يُلاحظ أن هذا النمط من الأمثال لا يعتمد على صياغة الحكم المجرد، بل يُجسّده في صورة بشرية حية، لها اسم وسيرة وواقعة، مما يُضفي على القيمة الأخلاقية طابعًا واقعيًا قابلاً للتمثل والتكرار. وهذا ما يجعل المثل وسيلة تعليمية وتربوية من الطراز الأول، فهو لا يُلقّن القيم نظريًا، بل يُجسّدها في أشخاص يصبحون أمثلة يحتذى بها في الحياة اليومية.

---

(١٢٢) الفُتُوّة عند العرب لعمر الدسوقي ص١١٧، مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥١م (د. ط).
(١٢٣) جمهرة الأمثال ٣٤٥/٢.
(١٢٤) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.
(١٢٥) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.

وبذلك يكون المثل العربي قد ساهم في نقل القيم المجردة من إطارها الفكري إلى حيز التمثيل الإنساني، عبر بنى لغوية مميزة تجمع بين الإيجاز، والتكثيف، والبعد الرمزي، وهو ما يعزز من أثره في الذاكرة الجماعية والثقافة الشفاهية المستدامة.

ثالثًا: التحليل التداولي لأمثال الوفاء: السياق، الدلالة، والوظيفة الاجتماعية:

يتطلب فهم الأمثال بوصفها أدوات تعبير ثقافي وأخلاقي الغوص في أبعادها التداولية؛ لأن المثل لا يُفهم فقط من خلال بنيته اللغوية المجردة، بل يُفهم في ضوء **السياق** الذي قيل فيه، **والدلالة** التي يُراد إيصالها من خلاله، **والوظيفة** التي يؤديها داخل المجتمع. وهذا ما يجعل المثل أداة خطابية لا تكتفي بوصف الواقع، بل تساهم في توجيهه وضبطه وتشكيل وعيه الأخلاقي.

فأمثال الوفاء – مثل: "**أَوْفَى مَنَ السَّمَوْءَل**"(١٢٦)، و"**أوفى من فُكَيْهَة**"(١٢٧)، و"**أوفَى مِنْ أُمِّ جَمِيلٍ**"(١٢٨)، – تؤدي وظيفة **إثباتية**، من حيث إنها تثبّت قيمة الوفاء في الذهنية الجمعية، وتؤكّد أنّ هذا الخُلُق لم يكن مثاليًا مستحيلًا، بل قد تحقق في أشخاص حقيقيين، في سياقات ضاغطة ومواقف مصيرية. فتكرار هذه الأمثال على الألسنة ليس مجرد احتفاء بلاغي، بل هو تثبيت لوجود الوفاء كقيمة ممكنة ومطلوبة(١٢٩).

كما يؤدي المثل وظيفة **ترسيخية**، إذ يتحوّل إلى وسيلة لغوية لتقنين السلوك وتحديد ما ينبغي أن يكون. فهو لا ينقل فقط موقفًا سابقًا، بل يستعمل غالبًا في الحاضر للحثّ على الاقتداء أو للمقارنة بين سلوك قائم ونموذج سابق. فعندما يُقال عن شخص: "أوفى من فلان"، فهذا يعني ضمناً أنه يُقارب النموذج الأعلى للوفاء، أو يذكر في معرض المديح بوصفه صورة تُستلهم. وبهذا يصبح المثل أشبه بوحدة معيارية للسلوك القيمي داخل المجتمع.

---

(١٢٦) جمهرة الأمثال ٣٤٥/٢.
(١٢٧) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.
(١٢٨) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.
(١٢٩) إسفار الفصيح لمحمد بن علي بن محمد، أبي سهل الهَرَوي (ت ٤٣٣هـ) ٧٧٥/٢، تح/ أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط. ١ سنة ١٤٢٠هـ.

ومن زاوية **السياق التداولي**، فإن مثل هذه الأمثال تُقال غالبًا في مواقف تتطلب تأكيد الالتزام بالعهد، أو مدح الوفاء، أو ذمّ الغدر والنقض، مما يمنحها دورًا في **التأثير الخطابي** الآني، ويجعلها من الأدوات المؤثرة في الضبط الاجتماعي.

أما من حيث **الدلالة**، فإنها لا تقتصر على المعنى القاموسي، بل تنطوي على **حمولة ثقافية وتاريخية**، ترتبط بذاكرة المجتمع وتجاربه. فالسموأل، وفُكيهة، وأم جميل، لم يعودوا مجرد أسماء، بل رموز دلالية لقيم متجذرة، تجعل من المثل وعاءً لتداول الأخلاق داخل المجتمع الشفاهي والكتابي على حد سواء(١٣٠).

وباختصار، فإن أمثال الوفاء – في ضوء التحليل التداولي – تتجاوز بعدها الإنشائي إلى أفق أوسع من التأثير الاجتماعي والوظيفة الأخلاقية، وهو ما يجعلها من أقوى آليات التواصل القيمي داخل الثقافة العربية.

رابعًا: المرأة فاعلًا في الوفاء: دراسة لأمثال "أم جميل" و"فُكيهة":

مثّلت المرأة في الأمثال العربية فاعلًا أخلاقيًا لا يقل أثرًا عن الرجل، بل برزت في بعض السياقات بوصفها نموذجًا أعلى يُحتذى، كما في مثل: "**أوفى من فُكَيْهَة**"(١٣١)، و"**أوفَى مِنْ أُمِّ جَمِيلٍ**"(١٣٢)، وهما من الأمثال التي سجّلت حضورًا نسويًا مميزًا في فضاء الوفاء، لتكسر بذلك التصورات النمطية التي تجعل البطولة الأخلاقية حكرًا على الرجال.

إن تمثيل المرأة في هذه الأمثال ليس مجرد ذكر عرضي، بل هو تعبير عن **دور فاعل** قامت به شخصيات نسوية في بيئة يغلب عليها الطابع الذكوري، ما يكشف عن إدراك عميق من الوعي الجمعي لقيمة المرأة ومكانتها الأخلاقية.

فـ"فُكيهة" – المرأة القيسية – آوت السليك بن السلكة في خيمتها وأخفته عن ملاحقيه، وأظهرت شجاعة نادرة في الذود عنه، حتى أصبحت مثالًا يُضرب به في الوفاء

(١٣٠) ينظر: قصة وفاء أم جميل في: المحاسن والأضدادص٨٣، وجمهرة الأمثال ٣٤٧/٢، ومجمع الأمثال ٣٧٧/٢.
(١٣١) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.
(١٣٢) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.

رغم تعرّضها للخطر المباشر. وهذا السلوك لا يُفهم إلا في سياق **تمكين المرأة أخلاقيًا**، ومنحها سلطة الفعل في صناعة القيم.

أما "أم جميل" فقد آوت ضرار بن الخطاب في مشهد يشبه ما فعلته فكيهة، وواجهت من أجله خصومه، فاستحقت الإشادة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو ما يدل على **الامتداد القيمي** لهذا النموذج حتى في الإسلام، واعتراف السلطة الدينية والسياسية بجميل صنعها.

ويعكس حضور المرأة في أمثال الوفاء **وعيًا اجتماعيًا مركبًا**، فالمجتمع الجاهلي – رغم بعض مظاهر القسوة التي ارتبطت بصورته – كان يُثمِّن أدوار النساء في المجال القيمي، ويرى في مواقفهن الفردية مصدرًا لإنتاج المثل وتثبيت القيمة. فالأمثال هنا لا تكتفي بإبراز الفعل، بل تخلّد صاحبته وتمنحها اسمًا لا يُنسى.

ولذلك، فإن مثل "**أوفى من فُكَيْهَة**"(١٣٣)، أو "**أوفَى مِنْ أُمِّ جَمِيلٍ**"(١٣٤) لا يُقصد بهنّ فقط الإشادة، بل أيضًا **نقل رسالة ضمنية** مفادها أن الوفاء ليس صفة بيولوجية، بل موقف أخلاقي يتجاوز الجنس والنوع، وهو ما يُعدّ مكسبًا تداوليًا في الخطاب المثلي العربي، يعزز حضور المرأة في سجل القيم الكبرى.

(١٣٣) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.
(١٣٤) جمهرة الأمثال ٣٤٧/٢.

خاتمة البحث:

بعد هذه الجولة التحليلية في أمثال "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري، في ضوء علم اللغة الاجتماعي، وانطلاقًا من الزاوية الأخلاقية والثقافية، تبيّن لنا أن الأمثال ليست مجرّد تعبيرات لغوية عابرة، بل هي بناءات رمزية تعبّر عن رؤية المجتمع للذات والعالم، وتنقل أنساقه القيمية المتجذرة.

لقد كشفت الدراسة عن مركزية القيم الأربع المختارة (الكرم، الحِلم، القناعة، الوفاء) في المنظومة الأخلاقية العربية، وبيّنت كيف عبّرت عنها الأمثال بصيغ بلاغية وتداولية مكثّفة، لتُرسّخها بوصفها أنماطًا سلوكية مطلوبة، ونماذج بشرية يُقتدى بها. كما أظهرت الأمثال قدرة عالية على اختزال التجارب المتكررة، وصياغة العِبَر في قوالب يسهل تداولها بين الناس، بما يجعلها أداة فاعلة في التنشئة الاجتماعية، ووسيلة لإعادة إنتاج القيم وتمريرها عبر الأجيال.

وعبر رصد الأمثال وتحليلها من حيث السياق والمضامين والبنية اللغوية، تمّ الكشف عن طبيعة التصورات الاجتماعية الكامنة وراءها: فالكرم ارتبط بالوجاهة والبيئة الصحراوية، والحِلم بالقيادة وضبط الغضب، والقناعة بالرضا في بيئة شحيحة الموارد، والوفاء بصون العهد والجوار وتثبيت الروابط الجماعية، كما لعبت المرأة في بعض هذه الأمثال دورًا محوريًّا لا يقل عن دور الرجل في تجسيد القيم.

وقد أثبتت الدراسة أيضًا جدوى مقاربة الأمثال من خلال علم اللغة الاجتماعي، لكونه يربط اللغة بسياقها التداولي والمعيشي، ويكشف عن العلاقة بين البنية اللغوية والبنية القيمية والثقافية. كما أن زاوية التحليل الأخلاقي أتاحت النظر إلى المثل بوصفه حاملًا لمعيار سلوكي، يعكس تصور المجتمع لما هو فاضل أو مذموم.

وختامًا، فإن الأمثال تبقى أحد أهم مفاتيح فهم العقل العربي، وهي جديرة بالدراسة من خلال مناهج حديثة تكشف طبقاتها العميقة، وتعيد وصلها بالراهن الثقافي.

ويوصي البحث بتوسيع نطاق هذه المقاربات لتشمل أمثالًا من بيئات عربية مختلفة، مع الانفتاح على المقارنة بين الأمثال العربية وغيرها من الثقافات، بما يُثري الفهم النقدي للغة، والقيم، والهوية.

ملحق: جدول الأمثال المدروسة في البحث وتصنيفها القيمي:

م	القيمة الأخلاقية	عدد الأمثال المدروسة	النسبة المئوية (%)	نماذج مختارة من الأمثال
1	الكرم والجود	14	35%	أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ – أَقْرَى من زَادِ الرَّاكِب – أَتَاكَ رَيَّانُ بِلَبَنِهِ – لاَ يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاس
2	الحِلم	10	25%	أَحْلَمُ مِنَ الأَحْنَفِ – مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ – التَّجَلُّدَ وَلاَ التَّبَلُّدَ – أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ
3	القناعة	8	20%	ارْضَ مِنَ العُشْبِ بِالْخُوصَةِ – إِنَّ الْقُنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةُ المَالِ – غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ
4	الوفاء	8	20%	أَوْفَى مَنَ السَّمَوْءَل – أَوْفَى مِنْ فُكَيْهَةَ – أوفَى مِنْ أُمِّ جَمِيلٍ

التحليل الإحصائي واللغوي للجدول:

يتبيّن من الجدول أن **قيمة الكرم** هي الأعلى حضورًا في الأمثال المدروسة، إذ تمثل ٣٥% من العينة، مما يعكس مكانة هذه القيمة في الثقافة العربية الجاهلية والإسلامية، خاصة في مجتمع الصحراء الذي يتّسم بشُح الموارد، حيث كان الكرم معيارًا للسيادة والوجاهة.

أما قيمة **الحِلم** فقد شكّلت ٢٥% من الأمثال، وهي نسبة عالية تُبرز مركزية هذه الفضيلة في السلوك القبلي والعلاقات البينية، لا سيما في ضبط الغضب وإدارة التوترات الاجتماعية.

وجاءت **القناعة والوفاء** بنسبة متساوية (٢٠% لكل منهما)، ما يدل على حضورهما القوي ولكن الأقل انتشارًا نسبيًا في أمثال العرب، ويُرجَّح أن ذلك يعود إلى اقتصار التعبير المثلي عنها على شخصيات رمزية ونماذج محدودة. لكن على الرغم من ذلك، فقد تم توظيفها بوصفها أدوات لغوية لتثبيت مفاهيم الرضا، والتمسك بالعهد، وصيانة الجوار، مما يعكس عمقها الأخلاقي وفاعليتها التداولية.

كما تجدر الإشارة إلى أن أغلب الأمثال الواردة جاءت على **صيغ التفضيل (أفعل)، أو الشرط أو الأمر**، ما يُبرز طابعها الإنشائي والإيحائي الذي يتلاءم مع وظيفتها الإصلاحية والتربوية.

ملاحظة ختامية:

هذا الجدول يؤكد أن الأمثال ليست مجرد صياغات تراثية، بل تمثّل خريطة لقيم المجتمع، تُسهم في فهم بنية التفكير الجمعي، كما تساعد الباحثين في اللسانيات الاجتماعية والأخلاقية على تتبع مسارات الوعي القيمي العربي عبر العصور.

قائمة المصادر والمراجع:

كتب الحديث:

١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعْفِيّ البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢- المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت٣٦٠هـ، تح/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة سنة ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م

كتب التراجم:

٣- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، سنة ٢٠٠٢م.

٤- دمية القصر وعصرة أهل العصر لعلي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب البَاخَرْزِي، أبو الحسن (ت ٤٦٧هـ) دار الجيل، بيروت، ط.١ سنة ١٤١٤هـ.

٥- السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ) تح/ مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط.٢ سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

٦- الفُتُوَّة عند العرب لعمر الدسوقي، مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥١م (د. ط).

٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت١٦٧هـ)، مكتبة المثنى بغداد، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٤١م، (د. ط).

٨- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م.

٩- المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت٣٦٠هـ، تح/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة سنة ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

١٠- معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت، ط.٢ سنة ١٩٩٥م.

١١- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تح/ د. محمد إبراهيم عُبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤ م.

كتب اللغة:

١٢- أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ) تح/ محمد حسن سليمان، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ط.١ سنة ٢٠٠٨م.

١٣- الأمثال العربية القديمة، لعفيف عبد الرحمن (ص٣٠)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، الكويت، المجلد الثالث، العدد العاشر، سنة ١٩٨٣م.

١٤- الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ط.١ سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

١٥- الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلة د. محمد توفيق أبو علي، دار النفائس، ط.١ سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

١٦- الأمثال لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ) تح/ د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط. ١ سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

١٧- تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الخامسة والعشرون، (د.ت).

١٨- الحِجَاج في كليلة ودمنة لابن المقفع د. حمدي منصور جودي، مركز الكتاب الأكاديمي، ط.١ سنة ٢٠١٨م.

١٩- شرح شواهد المغني لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تعليق/ أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، سنة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

٢٠- كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، سنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م (د. ط) .

٢١- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ) تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، (د. ط. ت).

٢٢- المحاسن والأضداد لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة ١٤٢٣ هـ (د. ط).

٢٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تح/ فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١ سنة ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨م.

٢٤- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط.١ سنة ١٤١٢هـ،

٢٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد علي (ت ١٤٠٨هـ، دار الساقي، ط.٤ سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

٢٦- نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط.١ سنة ١٤٢٣هـ.

كتب المعاجم:

٢٧- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ق ن ع) تح/ محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.١سنة ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م .

٢٨- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (م ث ل) تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف/ محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط.٨ سنة ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥م.

٢٩- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ((م ث ل) دار صادر – بيروت، ط.٣ سنة ١٤١٤ هـ.

كتب النحو:

كتب معاصرة:

٣٠- الجملة العربية والمعنى د. فاضل صالح السامرائي (ص٢٤:٢٩)، دار ابن حزم، ط.١ سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

٣١- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، ط.٥، سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

٣٢- دراسات في اللسانيات التطبيقية د. هايل محمد الطالب، وزارة الثقافة بدمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب سنة ٢٠١٧م.

٣٣- علم اللغة الاجتماعي د. هدسون، ترجمة: د. محمد عياد، مراجعة: د. نصر حامد أبو زيد، د. محمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، ط.٢ سنة ١٩٩٠م،

٣٤- علم اللغة الاجتماعي وتطبيقاته في تعليم العربية د. محمود جلال الدين سليمان، عالم الكتب ط.١ سنة ٢٠١٥م.

٣٥- اللغة وعلوم المجتمع د. عبده الراجحي، دار الصحابة للتراث، ط.١ سنة ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.

٣٦- مدخل إلى علم اللغة د. محمد حسن عبد العزيز، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة (د.ط.ت).

الرسائل العلمية:

٣٧- الإعلان التجاري وأسماء المحال التجارية في الأردن في ضوء علم اللغة الاجتماعي د. خلود إبراهيم العموش، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الثالث والثلاثين، سنة ٢٠١٥م،

٣٨- الأمثال الأخلاقية في العصر الجاهلي دراسة أسلوبية للباحثة أمال وناس، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، بالجزائر، كلية الآداب واللغات سنة ٢٠١٥م.

٣٩- رسالة ماجستير بعنوان: صورة العصر في الأمثال الجاهلية لفهد ناصر محمد السبيعي، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب سنة ٢٠١٢م.

٤٠- علاقة اللغة بالمجتمع ــ واشكالية التواصل اللغوي في المجتمع لصبرينة مزياني، المركز الديمقراطي العربي سنة ٢٠١٧م.

٤١- لغة القيم الأخلاقية في سورة النور دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي د.اعتماد عبد الصادق عفيفي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة، المجلد الخامس والثلاثون، العدد الثاني، سنة ٢٠١٨م.

٤٢- اللغة في المجتمع، لكمان توماس، ترجمة/ أمين محمود، المجلد الخامس عشر، العدد الثامن والخمسون، الناشر: المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية (منظمة اليونسكو)، دار المنظومة سنة ٢٠١٨م.

٤٣- مجمع الأمثال للميداني دراسة لغوية دلالية، للباحث/ أحمد جاسر عبد الله العبد الله، كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط، سنة ٢٠١١م.

٤٤- المضامين التربوية للأمثال السائدة في البيئة الدمشقية (دراسة وصفية تحليلية) د. منى كشيك، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، المجلد (٣٠)، العدد (٢)، سنة ٢٠١٤م.

٤٥- نحوُ الأمثال د. تراث حاكم الزيادي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد الثامن، العدد الأول، سنة ٢٠٠٩م.